أوراق إستراتيجية

سوريا : عام المخاطر الكبرى

April, 2006

بشار الاسد بين المعارضة الداخلية والضغوطات الخارجية الدولية

قاد بشار الاسد سوريا منذ العام 2000 ، أكان الحاكم هو ، عائلته ، زبانية الحكم أم الشعب ، لم يكن لديه خلال الست سنوات مضت اي استراتيجية واضحة للحكم .

- هل يريد أن يحكم ضمن رؤية اقتصادية محددة وواضحة ؟

منذ توليه الحكم وعد الرئيس الشاب بتغييرات اقتصادية أساسية من شأنها تحسين الاوضاع والصعوبات التي عانت منها البلد منذ امد بعيد نحو الافضل ، من خلال مكافحة الفساد المستشري في أجهزة الدولة السياسية .
لكن الليبرالية التي اعتمدت سمحت بظهور قطاع البنوك الخاصة والتي لعبت خلالها البنوك اللبنانية الدور الاكبر ، ولكنها لم تنجح في سد ثغرة البطالة .
المؤشرات الرسمية المتوسطة للبطالة وصلت الى مستوى 12.3 في المئة من الشريحة العاملة الشابة والنشطة في عام 2004 ، وتضخم 50 في المئة خلال عشر سنوات .

- مكافحة الفساد الى اين ؟

حتى قبل توليه الحكم ، ورث بشار الاسد الملف اللبناني عن والده ، وذلك من خلال التنسيق مع نائب الرئيس عبد الحليم خدام ، واصبح رجل مكافحة الفساد في سوريا قبل وقت قليل من وفاة والده في حزيران 2000 ،منذ تلك الفترة بدأ ملامح النظام الجديد المقبل مع الرئيس الشاب .(محمود الزعبي أول وزير خلال 13 سنة اقيل بسبب محاولة استفادة من السلطة لمصالح شخصية ، وانتحر لاحقاً)
من جهة اخرى تم الحد من سلطات بعض رموز النظام السابق وذوي التاريخ الحافل بالمعطيات السياسية السلبية ، كالجنرال حكمت الشهابي ، قائد جيش خلال 24 عاماً(سافر الى الولايات المتحدة الاميركية) .
// الصحافة اعلنت انه ودع الرئيس رفيق الحريري ونائب الرئيس السوري عبد الحليم خدام (المختبئ في فرنسا) قبل ذهابه الى الولايات المتحدة .
مكافحة الفساد اظهرت وسيلة لبشار لتجريدالاشخاص المهمين والقادرين الذين ينتظرون موت الاسد او انتهاء حكمه لأخذ مكانه في رأس النظام .

- سوريا تسير نحو الديمقراطية :

السابع عشر من تموز 2001 ، أفسح الخطاب الرئاسي المجال للعلاقات السياسية ، ولكن مع التأكيد أن سوريا ليست كغيرها من البلدان (محاولاً افهام العالم ان سوريا لا تتبنى الديمقراطية الغربية) .
خلال سنة ظهرت بعض الحركات السياسية الفكرية المنفية ، من محامين ومغتربين أو من الاخوان المسلمين ، تأسست ودعمت من لندن، وبدأت تظهر في الصحافة العربية غير السورية ، معلنة نهاية حالة الطوارئ وتطالب بالعودة الى البلاد وتحرير المعتقلين السياسيين ، في نفس الوقت اقيمت ***منتديات*** لهذه الغاية.
في دمشق أقيمت جمعيات سياسية أسست في الصالونات الخاصة ، وقد حققت نجاحا هاماً ، شخصيات سياسية مستقلة ، جامعيين ، وايضاً اعداد من الناس ، بدأوا يجهرون نقدهم للفساد ، ولسوء الادارة واستغلال السلطة من قبل المسؤولين وأولادهم وذلك رغم رقابة عيون البعث .
استفادت المعارضة من هذه الحركات باستعادة بعض المنفيين وممارسة حرية التعبير وتحرير المعتقلين السياسيين ، ومن جهة اخرى رأينا اشياء غير معهودة منها قيام احد الوزراء بمقابلة تلفزيونية رد خلالها على الاسئلة التي كانت تنتقده مباشرة في بعض الاحيان .
مع الاسف هذا الربيع لم يدم اكثر من أشهر قليلة إذ سرعان ما تحول الى شتاء يستمر الى اليوم .
8 شباط 2001 في مقابلة مع جريدة الشرق الاوسط ، ثم آذار خلال مناورة عسكرية اعلن بشار الاسد ان: الامم المتحدة ، سياسة والده ، الجيش والوطن هي مواضيع غير قابلة للنقاش والنقد ، ومن جهته نائب الرئيس عبد الحليم خدام صرح ان الحكومة لن تسمح بأن تتحول سوريا الى جزائر اخرى .
في أيلول من نفس العام ، جز عشرة من المناضلين الديمقراطيين في السجن ، منهم السيد رياض سيف ، والنائب المستقل رياض ترك " منديلا السوري " الذي كاد يفرج عنه بعد سجنه 17 عاماً تحت حكم حافظ الاسد ، وقد حكم هؤلاء من سنتين الى عشر سنوات بتهمة محاولة الانقلاب العسكري على النظام .

- <u>النقاط العليا والنقاط الدنيا في الدبلوماسية السورية</u>

سعياً لتحسين صورتها امام المجتمع الدولي والرأي العام الداخلي ، سعت السياسة السورية منذ العام 2001 وبالتعاون مع السي آي اي للقضاء على بعض الناشطين ذوي العلاقة بتنظيم القاعدة داخل سوريا وخصوصاً في المناطق الشمالية .
وبالوقت ذاته قبلت دمشق استقبال مراقبين اميركيين في ايلول 2002 (ماهر عرار كندي من اصل سوري اوقف من قبل الشرطة الاميركية في نيويورك وارسل الى دمشق بتهمة القيام بنشاطات ارهابية وحوكم وتم اخلاء سبيله بعد 13شهر)، ولكن عام 2003 وبعكس والده ادان بشار الاسد الحرب البريطانية الامريكة على العراق واتبع سياسة معادية ، وفي اب 2004 وتحت التأثير والضغط الاميركي الفرنسي اقر مجلس الامن القرار 1559 الذي يطلب من سوريا سحب قواتها من لبنان وسحب سلاح حزب الله والمخيمات الفلسطينية وارسال الجيش الى الجنوب "اذعنت دمشق بهذا القرار" .
بضعة اشهر بعد اغتيال الحريري اتى القرار 1595 ليكمل الضغط على سوريا باجبارها على التعاون مع لجنة التحقيق الدولي .
بدأ ميليس تحقيقه في لبنان وسوريا بين ربيع وصيف 2005 ، بعض الشهود تكلموا ثم تراجعوا ، امنيون لبنانيون اوقفوا ، وزير سوري انتحر ، وحصلت عمليات اغتيال متفرقة في لبنان ، قدم التحقيق تقريرا اولياً في تشرين الاول من العام 2005 يعتبر ان اغتيال رئيس الوزراء اللبناني لم يكن ليتم دون وجود علاقة او مسؤولية أو مساعدة من مسؤولين كبار في لبنان وسوريا .
واصبحت سوريا مجدداً في موقف صعب بينما كان لبنان على حافة الهاوية من وجهة نظر بعض المحليين .

<u>وجهة النظر السورية واللبنانية (الدمشقية والبيروتية)</u>

ال1644الذي در في نهاية العام 2005 بعد التقرير الثاني لميليس واغتيال جبران تويني ، تمت البرهنة بانه يجب تخفيف الضغوطات عن سوريا ، والطلب من العائلة السياسية اللبنانية توسيع دائرة الاتهام .
بالنسبة لسوريا : خلال التطورات الاخيرة شعرت دمشق بأنها الوحيدة المتهمة ، وسعت للتعاون مع العدالة الدولية ، وبالنسبة لشريحة من السوريين يجب تعديل السياسة تجاه لبنان ، مع العلم بأن الرئيس السوري لم يظهر بشكل كبير في الاعلام المحلي كان يفضل الظهور في الخطابات الحاسمة وعلى الشاشات الخارجية الغربية غير السورية .

الى عام 2005 حيث بدأ يظهر بكثرة في الاعلام السوري الداخلي وأمام الرأي العام مخاطباً الداخل والخارج بمختلف المواضيع التي تتعلق بسوريا الداخلية والخارجية .
يظهر في بعض الاحيان بأن الضغط الدولي يقوي التلاحم والتآذر مع الحكم السوري ، ويشعر بالمظلومية امام الدول الكبرى التي تسعي لاضعافه داخلياً وخارجياً ، على العكس عندما اتى الاميركيين الى العراق تمنى البعض لو انهم هاجموا دمشق ووضع نهاية لهذا النظام الظالم .
ولكن يظهر مع الوقت الى اليوم بان الشعب قد التف حول نظام الحكم بعكس ما ظهر في بعض الاحيان .

كيف ترى فرنسا السياسة السورية ؟

خلال خمس سنوات راقبت فرنسا حكم بشار الاسد وأملت بعض الانفراجات .. ، ففي البداية شجعت الرئيس الشاب ثم انتقلت الى النقد البناء ، وفي النهاية اصبحت من الد اعداء النظام السوري وذلك حتى قبل اغتيار الصديق الشخصي للرئيس الفرنسي (رفيق الحريري) .
وفي ايلول 2004 ، وبالتعاون مع الولايات المتحدة الاميركية اقر القرار 1559 وكانت فرنسا مستفيدة منه بالانسحاب السوري من لبنان .
في ال2005 طالبت بالحصول على معلومات عن كل من له علاقة قريبة او بعيدة باغتيال الرئيس الحريري .
وبعد الخلاف الفرنسي الاميركي في العراق ، بدأ الموقف الفرنسي يتطور بغية تطبيق القرار 1559 .
يحق لنا التساؤل في هذه الاحيان ، اذا كانت اهداف الطرفين نفسها ؟
بالنسبة لفرنسا الانسحاب السوري كان يمثل بالنسبة لها سيادة واستقلال لبنان وحريته في اتخاذ قراراته السياسية على المستوى الداخلي والخارجي تمهيدا لمشروع متأخر .
بالنسبة للولايات المتحدة كان الهدف الاساسي هو الضغط على سوريا لتجريد حزب الله والمخيمات الفلسطينية من السلاح ، وتغيير النظام السوري من جهة اخرى ، وكل ذلك في سبيل تغيير وقلب خريطة المنطقة السياسية لمصلحتها الخاصة وضمن رؤيتها الاستراتيجية الاقليمية للمنطقة.

إلى اي سيناريو نتوجه ؟

تتراوح السيناريوهات الممكنة بين الاكثر تفاؤلا والاكثر تشاؤما ، فبالنسبة لدمشق الخروج من الصدمة وبعض الحسنات ابسطها: انفتاح النظام ، تفعيل دور المواطنين ، واجراء انتخابات حقيقية لمجلس الشعب .
ولكن هناك مخاطر من ان تزعزع الضغوطات الداخلية والخارجية النظام وتؤسس لنموذج عراقي جديد ، واذا سقط النظام من سيخلفه ، عائلة الاسد العلوية ؟ المخلصين للأسد الاب (الاغلبية السنية) ؟ غير المنصفين لحكم بشار ؟ ام المعارضة من كل المستويات (سنة ، علويين ، اكراد ، الجماعات الاسلامية المتطرفة) ؟
ولكن هل هو مكين جداً ، هل يستعين بالجيش لعدم حصول شيء من هذا القبيل ؟
بالنسبة لبيروت ، في النهاية لا يمكن اخفاء أن الاحداث السورية لها تأثيرها على هذا البلد ، الذي لا بد ان يبقى متوترا وذات علاقات غير واضحة مع الشرق السوري والجنوب الاسرائيلي .
واذا كان هذا السيناريو الاكثر سوءاً ، ودخل لبنان حربًا اهلية اخرى ، في الوقت الذي جنوبه يتعرض للمناوشة ما بين حزب الله والاسرائيليين في ظل الاوضاع الدولية والاقليمية المتوترة خصوصا بين ايران والاسرة الدولية .
ولكن في بعض الاحيان يكون التاريخ اقل سوءاً من توقعات الباحثين فيجب تمني الافضل لهذه المنطقة ، ولكن الوجه الاخر لهذه الدراما التي يلعب فيها لبنان وسوريا والعراق وفلسطين وايران الدور الابرز ، ما هي الا لعبة لاعادة برمجة العلاقات والاستراتيجيات الاقليمية لهذه المنطقة .